

النيل والأصوب وأثره في كل من مصر وأثيوبيا

الباحثة

رقية عبد الرحمن عمر الماسحي

مقدمة :-

النيل هو المصدر الحياة وملهم الامه ومهد للحضارة لذلك من أهم الموارد التي تستحق العناية والاهتمام من الشعب والحكومته والعمل على بناء علاقات ترابطية مع دول المنبع قوامها التماسك ومن ثم صناعة المستقبل الأمان بفضل الله ورحمته علينا والعلاقة مع دولة أثيوبيا قديمة بقدم وجود الارض والانسان فمنذ عهد الفراعنه وهناك رحلة شهيرة الى بلاد بونت في عهد الملكة حتشبسوت وهذة العلاقة التي أخذت في التطور مع مرور الزمن الى أن أصبح النيل ناقل للحضارة والثقافة من والى البلدين ونحن بصدد الحديث عن الجوانب الثقافية والاسطورية بين البلدين ومدى تأثير الصلات القديمة على سير العلاقات في العصر الحديث مع الوقوف عند بعض محطات التقارب الهامه من التأثيرت الحديثة .

فينقسم البحث الى تمهيد وثلاث فصول :-

التمهيد : يتناول أهمية النيل لكل من مصر وأثيوبيا

أولاً : يتناول الحديث عن العلاقة بين الكنيسة الاثيوبية والمصريه وصلات التقارب ومدى تأثيرها على سير العلاقات .

ثانياً : يتناول الحديث عن الأسطورة في حياة كل من الاثيوبي والمصري ومدى التأثير النفسى والشخصى بينهم .

ثالثاً : يتناول الحديث عن النيل والادب لدى المصري والاثيوبي ومدى التأثير على العلاقات السياسية الحديثة .

ثم الخاتمه

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

تمهيدأهمية النيل لكل من مصر وأثيوبيا

لولا النهر لما وجدت مصر فمصر ترتبط بالنيل وان كانت مقولة مصر هبة النيل قد ارتبطت بالمؤرخ الاغريقي (هيرودوت) منذ اكثر من الفين وربعمائة عام فقد سبقه المصريين القدماء بقولهما أن الدلتا هي هبة النيل و هدىة النهر ولعل مقولة (هيرودوت) هذه قد استوحيت من التراث المحلى السائد بين الكهنة والفلاحين .

وليس هناك شك أن مصر حقيقة بخصبها وغلثها انما هي ضيعة هذا النهر فهو بحق مانح الخير مانع الجذب ولولاه لكانت الصحراء المصرية أو لكانت مصر صحراوية تماثل في ذلك جارتها يسارا حيث تقع ليبيا ، وتماثل السعودية حيث تقع يمينها ، ولعل هذا النهر محقق الحضارة ومنشؤها في تلك البقعة من الارض حيث باتت أقدم واعظم حضارات في العالم . (١)

والامن المائى المصرى يعتمد على الامن الخارجى لها وذلك لأن معظم منابع المياه توجد خارج الحدود المصرية وتتحكم فيه الدول الاخرى ، فالنيل وهو مصدر الحياة لشعبى مصر والسودان تتحكم في مصيره سبع دول اخرى هي :

(تنزانيا - بوروند - روندا - الكونغو الذىمقراطيه - كىنىا - اوغندا -اثيوبيا)

واى تعدى فى حصص هذه الدول من ايراداته المائىة يؤثر تأثيراً مباشراً على مصر والسودان وتعد اثيوبيا من أكثر الدول تأثيراً فى الأمن القومى المصرى و السودانى حيث توجد بعض الانباء عن مشاريع مشتركة اثيوبية اسرائيلية لأقامة سدود على النيل ، ومعنى ذلك ان حياة المصريين والسودانيين فى خطر وان قوتهم اليومى مهدد فحصة مصر من مياه اثيوبيا تشكل أكثر من ٨٥% من مياه النيل و ١٥% الباقين من الهضبة الاستوائية لذلك تشكل العلاقات المصرية الاثيوبية بالغ الاهمية بالنسبة لمصر وحياتها وامنها القومى و الذى هو امنها الغذائى والقومى . (٢)

١ عبد الرحمن اسماعيل الصالحى : حوض نهر النيل دراسة قانونية، د.ت ، ص ٣٥٣ .

٢ شوقى عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق : النيل ومشكلاته ، مكتبة العمرانية للطباعة ، الجيزة

، ٢٠١٣ ، ص ٩٠ ،

وبما ان وجود مصر بشكل اساسى يعتمد على مياه النيل ، وبالتالي فان الحكومة المصرية تضع فى قائمة أولويتها ضمان زوال اى تهديد لتدفق مياه النيل التى تعتبر مصدر الحياة فى مصر ، و اى قلاقل او عدم استقرار الآخرين ، وان امن مصر فى حوض النيل يرتبط بعدة حقائق نبرزها فى الآتى :

١- تواجه مصر مشكلة التزايد السكانى ، وقلة الموارد المائية ولذا لابد من القضاء على اىة صراعات بين دول حوض النيل بالوسائل السلمية ، مع الزام دول الحوض بعدم اقامة اية مشروعات أو سدود على النهر الا بموافقة كل الاطراف .

٢- إعتما د مصر على مصدر واحد للماء هو النيل الذى يعطى ٩٩% من مصادر المياه العذبة ، وبالتالي فان امن مصر القومى يعتمد على هذا المصدر الوحيد .

٣- ان كميات المياه التى تصل الى مصر حاليا لا تفى بمطالب السكان بسبب الزيادة السكانية ، و ارتفاع معدلات النمو .

٤- ان مصر دولة مصب ولا تستطيع وحدها ان تتحكم فى مياه النيل ، ولابد من تنسيق المصالح المشتركة من دول الحوض .

٥- ان مصر تتبع سياسة افريقية متوازنة تجاه كل الصراعات التى تحدث فى القارة خاصة صراعات اعالي النيل ، وبالتالي فان عملية تنظيم التوازن الإقليمى مع دول الحوض يعد أحد ثوابت السياسة المصرية .

٦- لاشك ان اهم وسائل دعم الامن والاستقرار فى منطقة نهر النيل تتطلب وجود تنظيم اقليمى قانونى متكامل لجموع دول الحوض ، ويكون قادرا على تنفيذ هدفين اساسيين هما منع وقوع نزاع بين الدول الاعضاء ، وتحقيق تنمية اقتصادية وتعاون اقليمى حقيقى فى مختلف المجالات تكون اثاره واضحة لتحقيق امثل استغلال لهذا النهر شريان الحياة لكثير من الدول واولها مصر .^(١)

١ شوقى الجمل : مرجع سابق ص . ص ٩٩ ، ١٠٠

ثانياً : نهر النيل بالنسبة لأثيوبيا :-

هناك عوامل لها دور كبير في تكوين نظرة أثيوبيا لمياة النيل أولها : موقعها المتميز في شرق القارة الافريقية وهى منطقة قلب القرن الافريقي و**ثانيها** : العامل التاريخى حيث أن اثيوبيا القديمة كانت ترتبط بالاساطير حول زيارة ملكة سبأ لنبي الله سليمان و نسج الأساطير المحلية لربط العائلة الحاكمة لأثيوبيا بصلة الدم مع نبي الله سليمان وأثيوبيا الحديثة التي وجدت في عهد منليك الثانى الحاكم عام ١٨٨٩ الذى توسعت آثيوبيا في عهده و ضمت قوميات مختلفة وفى عهد الإمبراطور هيلاسلاسى الذى أدخل الحداثة والمدنية لأثيوبيا هذا بالإضافة الى كونها الدولة الوحيدة التي لم تخضع للاستعمار وان كان استعماراً ايطاليا لها خلال فترة زمنية قليلة.^(١)

و هضبة اثيوبيا هى قلعة المائة نهر وتمتد مساحتها لتشغل حوالى ١,٢٩٥٠٠٠ كىلو متر مربع يعنى ٤مرات كمساحة برىطانيا وشمال أيرلندا وضعف مساحة ولاية تكساس الامريكية ومرة وربع مثل مساحة مصر وتستقبل كل هذا القدر من الأمطار ويسيح على اديمها هذا العدد الهائل من الانهار حتى اصبحت تحمل لقب (برج الماء) و تحتوى على جملة ٢٠٠ مليون فدان من الارض القابلة للزراعة ويزرعون نحو ٣٠مليون فدان فقط اى خمسه اضعاف ما يزرع فى مصر ولكنها فى الغالب زراعة مطرية وحيدة المحصول وعندهم ١٥٧مليون فدان من المراعى الخضراء .

و القوى العاملة فى الزراعة فى اثيوبيا ، ٦ملايين فلاح و ٩٠% منهم يملكون اقل من ١٢ فدانا ومنهم ٦٠ % يملكون اقل من ٤ افدنة ولكن انتاجية الارض منخفضة ومستوى المعيشة ايضا ، وتعانى المساحات المزروعة من نقص الطرق ووسائل المواصلات لنقل المحاصيل الى الاسواق . لهذا يزرع الفلاح على قدر احتياجه و استهلاكه والفلاح الاثيوبى يعانى من نقص التكنولوجيا الزراعية وهو يقاوم اى اتجاه الى ميكنة الزراعة ويرفض استعمال الجرار الزراعى وغيره من ادوات الزراعة والحصاد الميكانيكى .^(٢)

١ شيرين مبارك : نهر النيل فى العلاقات المصرية الإثيوبية ١٩٥٢ - ١٩٧٤ ، رسالة ماجستير

غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ٢٠١٠ ، ص ١٠ .

٢ عبد التواب عبد الحى : النيل والمستقبل ، الطبعة الأولى ، مركز الأهرام ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٧ .

ونتيجة لهذه العزلة ترسخ في التركيب النفسى للشخصية الإثيوبية عقلية الحصار و الخوف من الاجانب، و انعدام الثقة فى كل ما هو غريب، وكان لهذه العزلة وهذا الخوف من الغرباء دوراً كبيراً فى تعامل إثيوبيا مع مصرفيما يخص مياه النيل. (١)

أولاً : النيل ميراث روحى ودينى

- (١) العلاقة بين الكنيسة الأثيوبية والكنيسة المصرية .
- (٢) انفصال الكنيسة الأثيوبية عن الكنيسة المصرية .
- (٣) تأثير العلاقة بين الكنيستين على العصر الحديث .

(١) العلاقة بين الكنيستين المصرية والإثيوبية :-

تعود العلاقة بين الكنيسة المصرية والإثيوبية الى النصف الاول من القرن الرابع الميلادى حين قام بابا الاسكندرية اثناسيوس الرسولى بسيامة اول اسقف لاثيوبيا وهو الانبا سلامه فى ٣٣٠م ومنذ ذلك الحين جرى التقليد أن يكون رئيس الكنيسة الاثيوبية اسقفا مصريا يرسله بابا الاسكندرية وبذلك تعتبر كنيسة الاسكندرية الكنيسة الام لكنيسة اثيوبيا التى أصبحت جزءاً من كرازة مارمقس الرسول واستمرت كنيسة الاسكندرية فى سيامة ارسال مطران كرس اثيوبيا حتى عام ١٩٥٩ عد البابا كيرلس السادس . (٢)

حين توجت كنيسة الاسكندرية الانبا باسيلوس كأول بطريرك اثيوبى للكنيسة الاثيوبية بعد مراحل من المفاوضات بين الكنيستين استمرت من ١٩٤١ الى ١٩٥٩م و حتى ذلك الوقت لعب اساقفة الاقباط دوراً هاماً فى اثيوبيا فى تنظيم الكنيسة ورعايتها وفى تشكيل تقاليد الكنيسة الاحتفالية والتعبيرية. (٣)

١ شيرين مبارك : مرجع سابق ، ص ١١

ميسرة محمد حسن :مصر واثيوبيا الماضى - الحاضر - المستقبل، دار الفرسان للنشر ، القاهرة ، ٢٠١١ ، ص٢٨ .

٣ المرجع السابق ، ص٢٩

ومنذ ذلك الوقت صار التقليد في اثنوبيا على ان يشغل كنيستهم مطران قبطي يحصل على الجنسية الاثيوبية بمجرد وصوله ويظل بها لا يرحل حتى وفاته وإذا كان مطارنة الكرسي المرقسي هم الذين عمموا المسيحية في الحبشه ، فإن رهبان مصر هم الذين نشروا الرهينة في اثيوبيا كما نشروها في جميع أنحاء العالم . (١)

وكان في الاغلب وقع اختيार المطران الجديد على عاتق الاثنوبيين انفسهم الذين استقروا في الاديرة المصرية ، وما ان يصل حتى تقام الاحتفالات الشعبية ويستقبله الامبراطور بنفسه . (٢)

ولقد كان الاباطرة هم من يرسلون الى بابا الأسكندرية في طلب المطران الجديد بارسال الهدايا والبعثات لأنه كان بالنسبة لهم مصدر الالهام والبركة ولقد تعاقب على رئاسة الكنيسة الأثيوبية مائة واحد عشر مطرانا قبطيا تميز بعضهم باعمالهم وكان يحظى المطران بتبجيل فائق من جميع افراد الشعب باعتباره راعيهم ومعلمهم الاول ورئيس الكنيسة وكان يعتبر الرجل الثاني بعد الامبراطور وهو الرئيس الأعلى والفعلي للكنيسة وله مطلق الحرية للعمل دون الرجوع الى الإمبراطور ، وقد اضيفت الى مهام المطران القبطي رسميا اواخر القرن الثالث عشر تتويج الملوك واضفاء الشرعية عليهم بل وكان له الحق في عزل الاباطرة اذا رأى انهم خرجوا عن العقيدة. وخلال الاتصال المباشر بين الكنيستين نقلت الكنيسة القبطية تراثها الى اثيوبيا وجعلت منها كنيسة قبطية وخلال حقبة الاربعينات سافر الى اثيوبيا عدد من الابطاء الذين عملوا بها سنوات عدة في مجالات الزراعة والمحاسبة وبعض الوزارات واطباء ومهندسون وفنيون في شركة الطيران الوطنية .

١ مكرم سويحة بخيت : العلاقات المصرية الحبشية في الفترة من ١٨٨٤ - ١٩٢٩ والعوامل

المؤثرة بها ، رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٤٢

٢ ميسرة محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٢٩

وهناك العديد من الرهبان الاثيوبيين الذين استقروا في أديرة مصر وكاناشهر هم الاب عبد المسيح الحبشي و تكلا هيما نوب الحبشي . (١)

هذا الى جانب حركة الترجمة والنهضة الأدبية و الثقافية الدينية التي دفعت بالفكر الدينى الاثيوبى الى قمته تلك الحركة التي ساعدت على إحياء الادب الاثيوبى بنقل الكتب الدينية من اللغة العربية الى اللغة الاثيوبية الى جانب الكتب الأدبية ويعتبر هذا الغزو الثقافى الدينى المصرى لكنيسة أثيوبيا هو التأسيس الثانى لها وانتقال العادات والتقاليد الدينية المصرية الى أثيوبيا ومثال ذلك : الطريقة التي كان يحتفل بها المصريون بعيد الغطاس ومازالت متبعة حتى الان. (٢)

(٢) انفصال الكنيسة الأثيوبية عن الكنيسة المصرية :-

وكانت نقطة التحول فى العلاقات عند المطالبة بالاستقلال الكنسى عقب وفاة الانبا مناؤس مطران اثيوبى القبطى الذى استمر قرابة ٤٠ عام فى الخدمة واجتمعت بين ايديه سلطة لم تجتمع لغيره من المطرانة الاقباط ، وكانت له مكانة كبيرة فى اثيوبيا وبدأت المفاوضات من سنة ١٩٤١ حتى عام ١٩٥٩ حىن قام الباب كيرلس السادس برسامة اول مطران اثيوبى لكرسى اثيوبى وهو الانبا باسلىوس .

وبعد الإنقلاب على الإمبراطور هيلاسلاسى عام ١٩٧٤ والقاء القبض على المطران الانبا ثاوفيليس تعرضت الكنيسة فى اثيوبيا الى هجوم شرس من الشىوعوية انتهى الامر بسقوطها عام ١٩٩١م و بعد سقوط النظام تم انتخاب اسقف اثيوبى جديد للكنيسة وهو الانبا بولس وهذا ان دل على شىء انما يدل على مدى الارتباط بين الكنيسة الأثيوبية والسياسة .

ثم بدأت الاتصالات لاستعادة العلاقات بين الكنيستين وفى عام ١٩٩٣ م زار مصر وفد اثيوبى لكى ينظم العلاقات بين الكنيستين وتم عقد بروتوكول عام ١٩٩٤ م .

١ ميسرة محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٢٩ ، ٣٠

٢ أتونى سوريال عبد السيد : العلاقات المصرية الأثيوبية ١٨٥٥ - ١٩٣٥ ، جزيين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، الجزء الثانى . ص ١١

وعندما دارت الحرب بين ارتريا واثيوبيا توترت العلاقات بين الكنيستين الا أن انتهت الحرب (١)

معنى ذلك ان العلاقات بين الكنيستين المصرية والأثيوبية تحكمت فيها ثوابت كثيرة على رأسها السياسة والدليل الموقف المصرى من الصراع الأثيوبى الأريتري والذى انعكس بالتالى على العلاقة بين الكنيستين ولكن حين عقد بروتوكول ١٩٩٤ بين الكنيستين شاركت الكنيسة الأثيوبية فى اختيار الأنبا شنودة الثالث ومن بعده الأنبا تواضروس مما يؤكد على عودة الوئام بين الكنيستين كما أن مصر واثيوبيا حاولتا ادخال الكنيستين فى موضوع سد النهضة الأثيوبى على أمل الوصول إلى حلاً سلبياً يحقق المصلحة للجميع تحت رعاية الكنيستين .

• (٣) تأثير العلاقة بين الكنيستين على العصر الحديث :-

وفي العصر الحديث وبصفة خاصة في عهد ثيودور الثانى ١٨٥٥ الذى لم يذكر نفسه من الاسرة السلمانية اذا اعتبر كونه من مليشيات "الشفنا " أمر يدعو للفخر ذلك أنه كان يحارب طغيان الاقطاعيين الاثيوبيين وكل ماهو عدو لشعب التيجراى فى شمال الهضبة الاثيوبية ، حتى دان له كل أمراء الشمال بالطاعة وتم له تولى العرش في ٧ فبراير ١٨٥٥ متخذ لقب ثيودور الثانى الذى تتبأ به " يسوع " في الانجيل الاثيوبى المعروف باسم " فىكارى لياسوس " أي حب يسوع والذى سيكون منقذ اثيوبيا فهو المختار ومن ثم فهو سيقوم بردم (أبابى - النيل الأزرق) ليتم له التحكم والسيطرة على مصر في الشمال عن طريق تجفيف نهر النيل الذى يدعي شعبه بأن بلادهم هبته ومن خلال خرابه لمصر وسيطرته عليها سوف يتجه نحو فلسطين لتطهيرها وتخليصها من حكم المسلمين .

١ ميسرة محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٣١

وبذلك يتضح لنا فكر الحملات الصليبية في القرون الوسطى والتي انعكست على السلطة الحاكمة لاثيوبيا خلال خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادى ، كما يتضح النعرة الاثيوبية المتعلقة بالتراث الدينى الذى يؤكد كون الشعب الاثيوبي هو شعب الله المختار مما يجعل السلطة الدينية والسياسية الحاكمة لاثيوبيا ترى علو شأنها عن شأن كنيسة المرقسية الام في مصر ومن ثم الحق في انتماء الكنيسة المرقسية للكنيسة الاثيوبية وليس العكس بالرغم من أن الديانة المسيحية دخلت عن طريق المسيحيين الاقباط من الرهبان من مصر. (1)

• ثانياً: النيل بين الأسطورة والتاريخ

• النيل فى الأسطورة المصرية والأثيوبية

• التأثير النفسى والشخصى بين البلدين

• نهر النيل فى الاسطورة المصرية والاثيوبية :-

لقد حاول الكثيرون اكتشاف اصل تسمية نهر النيل بهذا الأسم وسر الاساطير المتعددة التى صاغوها حول النهر الخالد الذى كانوا يعتقدون جدى بأنه مركز العالم ، فلقد تغنى المصريون فى اناشيدهم بأبى الالهة وهو لقب استعارة من الاله نون رب المياه الازلية عند الفراعنة والذى يعد اقدم الالهة عهدا و الذى كان النيل ينبع منه .

¹ داليا سعد الدين : مأساة إمبراطور أراد ردم النيل الأزرق " www.hadarat.ahram.org.eg ،

وفيما يتعلق بالالهة المصرية القديمة المرتبطة بنهر النيل فإنها كانت مقسمة بدقة للتعبير عن حالات النهر وحاجة المصريين منه في كل حالة فأن (نون) رب المياه الازلية هو مصدر النيل الذى ينبع من الارض فى منطقة الشلالات فان (ختوم) الذى كانت تماثيله تنحت على هيئة كبش عظيم هو المسئول عن وفقا للمعتقدات المصرية القديمة عن تفجير النيل من باطن الارض عند الشلالات . (١)

كماكان الاله عوزير (اوزوريس) اله عالم الموتى و خصوبة الارض وانماء الزرع ، وبالرغم من اهمية كل اله الى النيل الا ان اشهر الهة النيل هو (هابى) و كان الفيضان هو مجئهابى الذى كان بى صورونه على هيئة شخص بدين منبعج البطن ذى ثديين متدليين هما مصدر الخير لمصر ولونوه بالاخضر والازرق (لون الفيضان) وله الفيضان هو ضامن الحياة كلها .

وارتبطت " ايزيس " بفيضان النيل حيث كانوا يعتقدون أن الفيضان يحدث نتيجة دموعها حزنا على مصرع زوجها عوزير " أوزيريس " على يد إله الشر " ست " وكان يسمى " عيد الدموع " التي تحدث الفيضان . (٢)

وأسطورة عروس النيل وهو لدى المصرى القديم عبارة عن إلقاء أنثى عذراء للنيل لكى يفيضوىكثر خوره كقربان وان كانت هناك خلافات على كون العروس حقيقته ام مجرد رمز لمصر و جريان النيل أو عروس غير حقيقة .

١ أحمد السيد النجار : مياه النيل القدر والبشر ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ ، ص ٤٣ .

٢ أحمد السيد النجار : مرجع سابق ص . ص ٤٤ ، ٤٥

أما بالنسبة لأسطورة أثيوبيا ففي منطقة يطلق عليها " بحر دار " يسمونها " الليلة الحمراء " فالامطار الاستوائية الشرسه عند سقوطها هناك تأكلحمره التربة الجبلية وتحتضنها في رحمتها وهي تلقي بنفسها من مرتفعات تصل الى ٦١٣٣ قدما الى مجرى النهر فيسمى النيل الأزرق وتستقبل الفتيات هناك مياه السماء وهنا عاريا فيشتد العود ويتمدد الصدر ويستعد الجسد للتعبير عن رغباته ويتحين الرجال الصغار الفرصه للفتنص والخطف والعشق وإن عروس النيل الأسطورة الخرافية التي شاعت في مصر حيث دولة المصب حقيقة مجسمة في أثيوبيا حيث المنبع ولقد كانت الجنسين ولا تلتقي تشتعل نيران الشهوة فيها لكن الامطار تطفئها ونسمع المياه العفية وبرية وقادرة على أن تخلق الخضرة والشجرة والثمرة والعلة وما ان انتهوا حتى يلقوا ما يملكون من الدجاج والخرز في النهر .^(١)

• التأثير النفسى والشخصى بين البلدين

ولا يختلف الأثيوبيون عن المصريين في الطباع فهم مثلنا طيبون ومتواضعون ومنكسرون ومستسلمون متجردون من نوازع العنف رغم قسوة الحياة وان كان الاثيوبيون لا يتقون في الاخرين بسهولة.^(٢)

ومنذ عدة قرون دارت الأساطير حول قدرة ملوك الحبشة على تحويل النيل عن مصر؛ لهذا كان النيل لما يزيد عن ستمائة عام وربما ألف موضع مساومة بين إثيوبيا ومصر نتيجة هذا الاعتقاد القديم الذي يقول بأن إثيوبيا قادرة على حجز مياه النيل الأزرق أو تحويل مجراه بهدف تجويع مصر وإجبار الإسلام فيها على الركوع على ركبتيه هذا الاعتقاد الذي تحول إلى أسطورة لعب دوراً هاماً فى العلاقة بين المسيحية فى إثيوبيا والإسلام فى مصر، وعندما بدأت القوى الأوروبية فى إرسال مستكشفيها وبعثاتها التبشيرية لعبت هذه الأسطورة دوراً هاماً فى تشكيل المفاهيم الغربية حول الطريقة التي من خلالها يمكن إخضاع مصر عن طريق قطع مياه

١ عادل حمودة : ثرثرة أخرى فوق النيل ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ ص . ص

٧ ، ٨ .

٢ المرجع السابق ، ص ٢٧

النيل وتجويعها، وكثيراً ما تم استخدام النيل من قبل إثيوبيا كسلاح تشهره في وجه مصر كلما شعرت بتهديد الإسلام لها. وظهر في إثيوبيا مصطلح ما يسمى "بالسيادة على النهر" كونه ينبع من الاراضى الإثيوبية، وعلى هذا كان ينظر إلى النيل على إنه وسيلة ملوك إثيوبيا لتهديد مصر ومساعدة المسيحيين بها ضد حكامهم المسلمين، ومن ثم أصبحت الأسطورة مسألة قضية سياسية ودينية بين مصر الإسلامية وإثيوبيا المسيحية . (١)

ولقد استمر النيل وقصته في الوجدان الجمعي للشعب الإثيوبي، وأصبح أداة هامة من أدوات السياسة الخارجية الإثيوبية حتى العصر الحديث، فعند زيارة الإمبراطور هيلاسيلاسى إلى السودان في زيارة رسمية عام ١٩٦٠ أشار في حديثه الى أنه " منذ بدء التاريخ والنيل يسهم في ميراث الثقافة والحضارة للدول المستفيدة بمياهه . وبالرغم من أن إثيوبيا مليئة بالأنهار المتدفقة، والبعض من هذه الأنهار يمكن مقارنته بالنيل الأزرق بل أنها أكثر فائدة منه اقتصادياً، إلا أن^(٢) النيل هو الأكثر شهرة ولا أحد يستطيع مقارنته أو منافسته على المستوى القومي في إثيوبيا من ناحية الشهرة، والمنظر الطبيعي للمياه والأديرة الموجودة على الجزر الموجودة في بحيرة تانا يجذب الكثير من السياح، كما أصبح هذا المنظر يزين العديد من المجلات والكروت التي تعرف عن جمال إثيوبيا، كما صارت بانوراما مساقط المياه رمزاً على العملة الإثيوبية وبالتالي صار النيل رمزاً قومياً للدولة .

١ شيرين مبارك : مرجع سابق ص . ص ١٢٣ ، ١٢٤

٢ شيرين مبارك : مرجع سابق ص ١٢٥ .

ثالثاً: النيل في الأدب والسياسة

(١) النيل في الأدب لدى المصرى والأثيوبى واختلاف النظرة بينهم للنيل .

(٢) التأثير السياسى لنهر النيل بين مصر واثيوبيا

(١) النيل في الادب لدى المصرى والاثيوبى :-

بالرغم من أن مصر هي صاحبة الحضارة وناقلة الثقافة لدى الشعب الاثيوبى ولكن هناك اختلاف واضح في نظرة كل منهما للنيل توضحه الكتابات الأدبية وتعبر عنه ، فبالنسبة للمصرى كان يحتفل بفيضان النيل على مر العصور "عيد وفاء النيل " وتقدسهم لعادة عروس النيل التي كانت بالنسبة لهم أساس الحياة ومنذ تطلع المصريون الى السماء وتأملوا أفلاكها حتى هدامهم طول التأمل الى نجم يظهر في غرب السماء قبل شروق الشمس ويتفق مع فيضان النيل ظهوره وهو "النجم الشعرى اليمانية " وكان عيد رأس السنة مرتبط بالفيضان ولقد صلي إخناتون العظيم محدثا بنعمة النيل

قائلا :

أنت الذى يعطى الحياة "أيضا لكل البلاد البعيدة

لأنك خلقت نيلا فى السماء

أما النيل "الحقيقي "قانه ينبع من العالم الآخر لأجل مصر

خبرنى أيها الأب النيل

لأى سبب وفي أي أرض

تخفي رأسك "منابعك "حتى أعلن هذا للناس ؟

أنت الذى له الفضل فى أن مصر لا تطلب المطر

الورقة الجافة لا تسجد للمشتري الحالب الغيث (١)

١ سيد عاشور أحمد : نهر النيل نبع الحياة والحضارة ، مطبعة البردى ، القاهرة ، ٢٠١٠ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠

أما عن النيل في الشعر العربي ، فمع قدوم العرب الى مصر أخذوا في وصف النيل عن طريق القصائد والمقطعات ومثال ذلك :

من جمال وبهاء لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى :

لم لا أهيّم بمصر واراضيها وأعشق

و ماترى العين أحلى من ماؤها إن تدفق

أما عن النيل في الشعر المعاصر فهناك كثير من الشعراء المعاصرين الذين تغنوا بالنيل ، إحساسا وإنفعالا وانبهارا ، ولا ننسى شاعرنا الكبير حافظ إبراهيم "شاعر النيل "وأمير الشعراء أحمد شوقي وقد قال عنه :

من أي عهد في القري تتدفق وبأى كف في المدائن تغدق

ومن السماء نزلت أم فجرت من عليا الجنان جداولا تترفرق

وبأى عين أم بأية مزنة أم أي طوفان تفيض وتفهب

وبأى نول أنت ناسج بردة للضفتين جديدها لا يخلق

أما بالنسبة للنيل لدى الاثيوبي فيصف بعض أدباء أثيوبيا نهر النيل بالخادم الخائن لأنه يروى بلدانا أخرى فيما يخاطب آخرون النيل متسائلين لماذا لا تريد أن تبقى معنا وتتركنا وتجري مسرعا؟

هذه النظرة التي يتعامل بها أدباء أثيوبيا مع نهر النيل الذي يجرى من أرضهم الى السودان ثم مصر كانت مدخل "توت مصر "في حوار مع أستاذ اللغة الأمهرية عمر عبد الفتاح لنقرأ معه بعض صفحات الأدب الاثيوبي وكان السؤال ما اثر النيل في الأدب الاثيوبي؟؟

توجد العديد من الانهار في هذا البلد وليس النيل وحده لكنهم يطلقون على النيل اسم " ابأى "باللغة الامهرية وتعنى بالعربية الأكبر وهناك الكثير من بناء سد النهضة واللافت أن لديهم وجهة نظر خاصة تجاه النيل فهم يرون أنه يجرى بسرعة لتذهب مياهه الى السودان ثم الى مصر ويتساءل احدهم قائلا : لماذا لا تريد ان تبقى معنا وتتركنا وتجري بسرعه؟؟

في حين اطلق عليه بعضهم "الخادم الخائن" لانه يروى بلدانا اخرى غير التي ينبع منها.(١)

وهناك قصائد عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وعن الاهرامات التي يطلقون عليها "الاهرامات الافريقية" وهناك روايات مصرية تمت ترجمتها الى اللغة الامهرية والادب الاثيوبي في ظل القوميات المتعددة بدا في القرن الرابع الميلادي و استمر حتى القرن الثالث عشر وكان يكتب باللغة الجعزية والتي اقتصر استخدامها بعد ذلك على الكنيسة الاثيوبية والادب الامهرى هو الأكثر شهرة على أساس ان الامهرة ورثوا اللغة الجعزية وبدا على استحياء ادب دينى ثم بعد ذلك ظهرت الرواية والمسرحية وبدأ يأخذ شكل جديد وظهرت قصص الحب فيه وان كانت الكتابات تميل الى الموضوعات الاجتماعية شأنها في ذلك شأن المجتمعات الافريقية(٢)

١ النيل الخادم الخائن عند بعض أدباء أثيوبيا :www.akhbarak.net

٢ النيل الخادم الخائن عند بعض أدباء أثيوبيا : www.akhbarak.net

(٢) الآثار السياسية للنيل في العلاقات بين مصر وأثيوبيا

تتميز العلاقات بين مصر وأثيوبيا انها علاقات استراتيجية تقوم على الاخذ والعطاء ، ولقد خاطب البطريرك الاثيوبى الاب بولوس وقال له لماذا لا يتم تنمية العلاقات الشعبية بين البلدين خاصة و انكم فى حاجة الى بعض النيل لتبادل الخبرات المصرية فى عدد من المجالات ' فهناك حاجة بين بلاد النيل لتبادل الخبرات والمصالح وهم يتطلعون لدور مصرى اكثر عمقا فهناك سوابق وتاريخ للعلاقات التجارية ، فالشعب الاثيوبى يقدر مصر بسبب هذه العلاقات .^(١)

ولقد عملت السياسة البريطانية منذ احتلالها لمصر على تصفية املاك مصر فى السودان وساحل افريقيا الشرقى وعقدت معاهدة مع اثيوبيا ١٨٨٤ وبذلك انتهت فترة العداء المباشر بين مصر واثيوبيا وصولا الى العداء غير المباشر نتيجة التنافس الانجليزى والفرنسى على السيطرة على النيل .

ومع بداية القرن العشرين بدأت مرحلة جديدة يشوبها العلاقات الودية بين البلدين فقد وقعت معاهدة ١٩٠٢ م اىضا مع استقلال مصر استقبلت لأول مرة ولى عهد اثيوبى الراس تفرى ، الذى اصبح فى ما بعد الامبراطور هيلاسلاسى الاول ثم تم تبادل التمثيل السياسى بينهما .

وكما كانت العلاقات السياسية بين البلدين غنية ، فان العلاقات الدينية التى بدأت منذ القرن الرابع الميلادى استمرت الى الان . فلقد حرصت الكنيسة المصرية على مساندة الكنيسة الاثيوبية فى كفاحها ضد المجادلات اللاهوتية ، حتى استطاع احد المطارنة المصريين وهو الانبا سلامة الثالث فى القضاء عليها ، وعودة المبادئ الارثوذكسية السلمية اليها مرة اخرى .^(٢)

١ ميسرة محمد حسن : مصر واثيوبيا (الماضى - الحاضر - المستقبل) ، دار الفرسان للنشر ، القاهرة ، ٢٠١١ ، ص ٣٣ .

٢ ميسرة محمد حسن : مرجع سابق ص ص ٣٣ ، ٤٤

ويحق لمصر ان تفخر بانها ادخلت التعليم لأول مرة فى اثيوبيا حيث ان تأسىس مدرستى منلىك الثانى وهرر، تم على ايدى المدرسين المصرىين ، وقد ظل المدرسون المصريون المرسلون من قبل البطريركية المصرية ،يقومون بمهمة التدريس حتى طلبت ، ولأول مرة ايضا ، الحكومة الاثيوبية من الحكومة المصرية ارسال بعثة تعليمية حكومية الى اثيوبيا . (١)

١ ميسرة محمد حسن : مرجع سابق ص٣٥

الخاتمة

يمكننا أن نستنتج أن العلاقة بين مصر وأثيوبيا وإن مرت بفتور في علاقه تارة والانسجام والود تارة أخرى فانها في النهاية علاقه تقوم على التكامل فاذا كانت اثيوبيا تمد مصر بطمي النيل الذي هو أساسى وجودها و بقائها فان مصر قدمت وتقدم المساعدات الفنية والثقافية والتكنولوجيا بالإضافة إلى ميراث الكنيسة الأرثوذكسية المصرية هناك .

خط سير المعاهدات السياسية القائم بين الدولتين ما هو إلا نتاج التبادل الثقافي والحضارى والتاريخى الموروث وما نبنيه الغد قائم بالأساس على ان ما نلمسه اليوم من نظام سياسى حديث على الأرض الاثيوبية ما هو إلا نتيجة للفكر المصرى ذا التأثير الراسخ في المجتمع .

الدين كان عامل مشترك بين البلدين حققت عن طريقه فتح مجال للغة الحوار الواضح وأوجدت نقاط التقارب بين البلدين لا سيما عن طريق الكنسية المصرية والأثيوبية .

هكذا كان دور النيل وتأثيره فى العلاقات التاريخية بين مصر واثيوبيا ، وان كان التركيز على الجوانب الثنائية ودورها فى ترسيخ العلاقات التاريخية بين البلدين فقد اكدت الباحثة دور الثقافة والأدب والدين فى تعميق العلاقات بين البلدين وهى علاقات تاريخية لا يمكن ان تتأثر بأى حدث عارض .

قائمة المصادر والمراجعأولاً : المراجع

- ١- أحمد السيد النجار : مياه النيل القدر والبشر ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ .
- ٢- أنتوني سوريال عبد السيد : العلاقات المصرية الأثيوبية ١٨٥٥ - ١٩٣٥ ، جزئين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، الجزء الثانى .
- ٣- سيد عاشور أحمد : نهر النيل نبع الحياة والحضارة ، مطبعة البردى ، القاهرة ، ٢٠١٠ .
- ٤- شوقى عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق : النيل ومشكلاته ، مكتبة العمرانية للطباعة ، الجيزة ٢٠١٣ .
- ٥- عادل حمودة : ثرثرة أخرى فوق النيل ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ .
- ٦- عبد التواب عبد الحى : النيل والمستقبل ، الطبعة الأولى ، مركز الأهرام ، ١٩٨٨ .
- ٧- عبد الرحمن اسماعيل الصالحى : حوض نهر النيل دراسة قانونية ، د . ن ، د . ت
- ٨- ميسرة محمد حسن : مصر واثيوبيا (الماضى - الحاضر - المستقبل) ، دار الفرسان للنشر ، القاهرة ، ٢٠١١ .

ثانياً رسائل الماجستير :-

- ١- شيرين مبارك : نهر النيل فى العلاقات المصرية الإثيوبية ١٩٥٢ - ١٩٧٤ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ٢٠١٠.
- ٢- مكرم سويحة بخيت : العلاقات المصرية الحبشية فى الفترة من ١٨٨٤ - ١٩٢٩ والعوامل المؤثرة بها ، رسالة ماجستير ، غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٩٧٩ ،

ثالثاً :- مواقع الأترنت :-

- ١- عمر عبد الفتاح النيل الخادم الخائن عند بعض أدباء أثيوبيا : www.akhbarak.net ٢٠١٤
- ٢- داليا سعد الدين : مأساة إمبراطور أراد ردم النيل الأزرق " www.hadarat.ahram.org.eg ٢٠١٦

الفهرس

٢	حياة نهر	التمهيد
٣	النيل ميراث روحى ودينى	الفصل الأول
٧	النيل بين الأسطورة والتاريخ	الفصل الثانى
٩	النيل فى الأدب والسياسة	الفصل الثالث
١٢			الخاتمة
١٣			المراجع
١٤			الفهرس